# الدوافع الذاتية للتميز والإبداع في السنة النبوية

بقلم

د / الذوادي بن بخوش قوميدي

أستاذ محاضر "أ" بقسم الشريعة ـ كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة باتنة1.

## ملخص

تبحث هذه الدراسة في ما للسنة النبوية من قوة تأثير وتغيير على الإنسان فردا ومجتمعا وأمة، وما للتوجيهات النبوية من فاعلية في دفع الإنسان نحو الكمال الممكن له، وبيان مدى التفاعل الإيجابي للسنة مع ملكات النفس الإنسانية، مما يثبت سبقها المتفرد، وإسهامها الواسع، وعطاءها المستمر في كل زمان، في مجال التميز والإبداع وتنمية المهارات في شتى مناحي الحياة.

**Self motivation for excellence and creativity in the Sunnah**

**By: Dr. Goumidi Daouadi**
Batna University-1

## Abstract

This study examines the self-motivation of excellence and creativity through the Prophetic Sunnah. It focuses on the following points:

the spirit of optimism, the spirit of competition, teamwork, entrepreneurship and self-motivation.

Indeed, what comes under the motives of excellence and creativity is many, but it is difficult; to be aware of such research..

The purpose of this study is to show the power and effectiveness of influence and change on the individual person and community and nation, and the guidance of the prophetic sunnah in pushing the human to perfection as possible.

**Key Words**: Motivation – Exellence – Creativity – Sunnah – Optimism – Effectiveness.

## مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه، وبعد:

خلق الله تعالى الإنسان وكرّمه بالعقل والاعتبار، ونعّمه بالإرادة والاختيار، وبث فيه الاستعدادات الفطرية والملكات النفسية القابلة للتنمية والتربية والتوجيه والتطوير، ليرتفع بذلك إلى ما قُدِّر له من مستويات التميز والنجاح، ولم يتركه سدى، بل أنزل له هداية الوحي حتى لا يضل ولا يشقى.

والسنة النبوية هي الوحي الإلهي المطبق في واقع الحياة الإنسانية، لذلك كانت منهج الحياة المتكامل الذي وضعه الله تعالى لإسعاد الإنسان فردا وجماعة وأمة. غير أن هذا المنهج يحتاج من الباحثين إلى بذل غاية الوسع في سبيل بيانه واستنباطه وإخراجه للناس واضحا متكاملا مُمَهَّدا، حتى يسلكه إنسان العصر، الذي ظل يبحث عن سعادته في النظريات الأرضية غافلا عن وحي السماء..

ولعل من أهم تفاصيل ذلك المنهج عنصر التميز، الذي قدمته السنة النبوية خدمةً لمصالح الإنسان العاجلة والآجلة، وسُمُوًّا بأهل الإيمان إلى درجات الفلاح، وانتقاءً لخاصتهم وارتقاءً بهم إلى التفوق والنجاح، ليكونوا -بتميزهم- محور رقيّ لأمتهم ومَعْقِدَ صلاح.

وفي هذه الدراسة بحثٌ في الدوافع الذاتية للتميز والإبداع من خلال السنة النبوية، وقد ركزت على النقاط الآتية: روح التفاؤل، وروح التنافس، والعمل بروح الفريق، وروح المبادرة.. وسميتها الدوافع الذاتية.

والحق أن ما يدخل تحت دوافع التميز والإبداع كثير، غير أنه من المتعسر؛ بل المتعذر الإحاطةُ به في مثل هذا البحث.

**مشكلة الدراسة:**

تلك الدوافع الذاتية هي دوافع نفسية داخلية، وهي ملكات موهوبة من الله للإنسان، ولكنها كثيرا ما تتعطل وتخمد بفعل مؤثرات خارجية نفسية واجتماعية، وغيرها.. فتكون بحاجة إلى التفعيل والتنشيط، لتستعيد دورها في بعث الإبداع الفردي والجماعي، وفي صناعة التميز في مختلف مجالات الحياة.

فكيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم، مع تلك الدوافع النفسية الداخلية؟ وكيف استثمرها في تحقيق تميز جيل الصحابة رضي الله عنهم؟ وكيف يمكننا الاستفادة من منهج تعامل النبي ﷺ مع الجيل الأول في استثمار القدرات وإبراز الكفاءات، وتفعيل الطاقات الراكدة في النفوس لتحقيق النجاح والإبداع وصناعة التميز في حاضر أمتنا ومستقبلها؟

**الهدف من الدراسة:**

تستهدف هذه الدراسة إظهار ما للسنة النبوية من قوة تأثير وتغيير على الإنسان فردا ومجتمعا وأمة، وما للتوجيهات النبوية من فاعلية في دفع الإنسان نحو الكمال الممكن له، وبيان مدى التفاعل الإيجابي للسنة مع ملكات النفس الإنسانية، مما يثبت سبقها المتفرد، وإسهامها الواسع، وعطاءها المستمر في كل زمان، في مجال التميز والإبداع وتنمية المهارات في شتى مناحي الحياة.

**الدراسات السابقة:**

مما طالعته من المراجع في موضوع التميز والإبداع في السنة النبوية رسالة أكاديمية بالجامعة الإسلامية بغزة، بقسم الحديث الشريف وعلومه، من الباحثة: مها سليمان أحمد أبو النمر، لنيل درجة الماجستير، بعنوان: (التميّز في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية) بإشراف الدكتور زكريا صبحي زين الدين، للعام

الجامعي 1432هـ/2011م.

لم تركز الرسالة على الدوافع التي هي وجهة هذا البحث، وإنما دار البحث على جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع وتصنيفها في فصول ومباحث، والاستشهاد بها على إثبات فكرة التميز في السنة النبوية، وقد استفدت من بعض المباحث شاكرا للباحثة المذكورة، وكنت أثناء مطالعتي للرسالة أراقب بتركيز مدى انضواء الشواهد والأمثلة من الأحاديث تحت المفهوم المعاصر لمصطلح التميز، فلاحظت بُعد بعض منها عن حقيقة المصطلح.

ومما له صلة بموضوع البحث كتاب الحديث النبوي وعلم النفس، للدكتور محمد عثمان نجاتي، صدر عن دار الشروق – القاهرة، ط1، 1409هـ/1989م.

طرق المؤلف في الفصل الأول منه دوافع السلوك في الحديث النبوي من صفحة 19-76. تناول فيه الدوافع الفسيولوجية، ثم الدوافع النفسية والروحية والتي منها دافع التدين، ودافع التنافس، ودافع التملك، وطرح العلاقة بين الدوافع والانفعالات، والسيطرة على الدوافع، وانحراف الدوافع.

ودرس في مواطن أخرى من كتابه بعض طرق التعامل النبوي مع الدوافع، من ذلك إثارة الدوافع بالترغيب والترهيب، وبالقصص، وبالمكافأة..

وقد تناول المؤلف دوافع السلوك من وجهة علم النفس، ولذلك اختلفت وجهة بحثي عن بحثه، فقد كان منطلق بحثه (إسلامية علم النفس)، أما منطلق بحثي فهو الكشف عن الدوافع الذاتية النفسية الداخلية الباعثة والمحركة للسلوك الإنساني، ومنهج النبي – في استثمارها لتحقيق الإبداع والنجاح والتميز الفردي والجماعي.

والحق أن صلة علم النفس ببحثي هذا عميقة، فقد استفدت كثيرا من الدوافع في علم النفس، ولكن لم أقف عندها، ولم أحذ حذوها، ولم أنسج على منوالها؛ وإنما

تحريت المنهج النبوي المستقل عن علم النفس الحديث في المنطلقات والأهداف، ولعل هذا هو ما يمكن أن يكون إضافة في هذا البحث بتوفيق الله تعالى.

### طبيعة مراجع البحث:

مراجع هذا البحث متنوعة بين القرآن الكريم وتفسيره، وكتب السنة وشروحها، وكتب التخريج بحسب الحاجة، والمؤلفات الحديثة في علم النفس الحديث وعلم النفس الإسلامي، وكتب التنمية البشرية وتطوير الذات، وغيرها مما هو مثبت في قائمة المراجع في آخر البحث.

### منهج الدراسة:

يحتاج هذا البحث إلى المنهج التحليلي المقارن، المعتمد على تتبع النصوص والمواقف النبوية في كتب السنة، ثم تحليلها في ضوء شروح العلماء، ثم مقارنة ذلك بابتكارات المعاصرين في موضوع التميز والإبداع، للاستفادة من التوافق بين الوحي الصحيح والعقل الصريح. كل ذلك في إطار من الضبط والاختصار، والاكتفاء –في كثير من المواطن– بوميض الإشارة عن عريض العبارة، وبمحاولة التدقيق في التمثيل مما يغني عن التطويل والتفصيل.

### خطة البحث:

في هذا البحث: مقدمة، ومبحثان: الأول في الدوافع والتميز والإبداع (مفاهيم وتأصيلات).

ثم الثاني في دوافع التميز والإبداع في السنة النبوية (نماذج وتطبيقات).

ثم خاتمة في النتائج والتوصيات. وهذا أوان التفصيل بعون الله تعالى.

## المبحث الأول

## الدوافع والتميز والإبداع (مفاهيم وتأصيلات)

### المطلب الأول: الدوافع.

ندرس الدوافع باعتبارها محركات للسلوك الإنساني نحو التغيير والتطوير الإيجابي، وتحقيق النجاح والتفوق والتميز والإبداع. وسننظر في مدى اهتمام السنة النبوية بتحريك هذه الدوافع وتوجيهها.

والدوافع في اللغة من الدفع وهو تنحية الشيء وإزالته بقوة[1]، وله معنى حقيقي كتدافع القوم، أي دفع بعضهم بعضا، ومجازي كدفعت القول، أي رددته بالحجة[2].

واستعمل القرآن الكريم الدافع بمعنى المانع، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور]. أي: «لا يمنعه مانع»[3].

وعلاقة المعنى اللغوي بالاصطلاحي مجازية، فالدفع بقوة اليد مثلا إزالة للشيء عن مكانه الحقيقي، ولا يكون ذلك إلا بقوة محركة، ودفع الإنسان إلى تغيير سلوكه أو القيام بعمل ما هو دفع مجازي، وهكذا..

أما في الاصطلاح، فالمقصود بالدوافع بوجهٍ عام هو البواعث إلى الفعل، ومن هنا نلحظ قرب العلاقة من الدلالة اللغوية، وإن لم يكن ثمة تطابق تام بينهما.

وقد شاع استعمال كلمة الدوافع بالمعنى الذي دار عليه اصطلاح علماء النفس، وهو –على وجه التقريب– المعنى الذي يستعمله مفكرو التنمية البشرية وتطوير الذات، ولذلك لزم التدقيق في المدلول الاصطلاحي لدى هؤلاء، ثم محاولة الوصول إلى المعنى الذي سيدور عليه هذا البحث بعون الله تعالى..

والدوافع عند علماء النفس: تطلق على القوى الانفعالية، التي تحرك نشاط الإنسان وتوجهه نحو هدف معين[4]. أو: هي تلك العوامل التي تنشط السلوك وتزوده بالطاقة وتوجهه نحو هدف معين، فالحيوان أو الإنسان الجائع مثلا لدى كل منهما دافع للبحث عن الطعام المناسب له، وكذلك من يشعر بالعطش يبحث عن الماء، والشخص المتألم كذلك لديه دافع للهرب من المنبهات المؤلمة، ومن المبادئ المقررة في هذا الصدد أن (كل سلوك وراءه دافع)[5].

فالطالب يستذكر دروسه ويسهر الليالي بدافع الرغبة في النجاح أو التفوق أو الشعور بالواجب، أو الظفر بمركز اجتماعي لائق، أو بهذه الدوافع جميعا. والعالم لا يبرح يبحث وينقب ويفترض بدافع حب الاستطلاع..[6].

وهناك ألفاظ قريبة من معنى الدافع، كالحاجة، والباعث، والحافز، وبعض الباحثين في علم النفس يميزون بين الدافع والحاجة والباعث، فيقولون: الدافع حالة من الإثارة أو التنبه داخل الكائن، تعمل على تحريك السلوك وتنشيطه وتوجيهه، وأهم ما يحرك الدافع هو الحاجات والبواعث. والحاجة حالة النقص الجسمي أو الاجتماعي تلح على الكائن العضوي وتنزع به إلى إشباعها..[7]. أما الباعث فهو موضوع أو شخص أو موقف، فيكون الباعث هو الجانب الخارجي المثير للدافع[8].

على أن كثيرا من علماء النفس يستخدمون اصطلاح الحاجة بمعنى الدافع، فيقولون: الحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى التقدير الاجتماعي، والحاجة إلى الإفصاح عن الذات وتوكيدها وغير ذلك..[9].

ويرى بعض الباحثين أن ما يرجع إلى أسباب غريزية، وحاجات عضوية يسمى الدوافع، وما يرجع إلى أسباب عقلية يسمى البواعث، فالدوافع هي التي تحرك، والبواعث هي التي توجه[10].

نفهم مما سبق أن الدوافع هي العوامل المحركة للسلوك والموجهة له نحو هدف معين، ومنها الحاجات، وهي دوافع داخلية، والبواعث (الحوافز)، وهي مثيرات خارجية، ويمكن أن يقال: إن الدوافع هي القوى الكامنة القابلة للاستثارة، بهدف الوصول إلى سد الحاجة تحقيقا للتوازن المادي والنفسي.

ويبحث علماء النفس الدوافع لكل السلوك الإنساني، أما أصحاب التنمية البشرية فيركزون على دوافع السلوك المرتبط بأداء العمل، لذلك يعرفون الدافع بأنه «الرغبة لدى الأفراد في بذل أقصى جهود ممكنة، لتحقيق الأهداف التنظيمية، أي أن الدوافع هي المحركات الداخلية للسلوك الذي يستثير أداء العمل، حيث يعتمد الأداء على درجة قوة الدافع أو الرغبة»[11].

والدوافع منها الخارجية (الحوافز) ويكون مصدرها العالم الخارجي، كتشجيع من رئيس العمل مثلا.. وهي تتلاشى بسرعة[12]. ومنها الداخلية وهي أقواها وأكثرها بقاء، حيث إن الإنسان -بالدافع الداخلي- يكون موجها عن طريق قواه الداخلية الذاتية التي تقوده لتحقيق نتائج عظيمة.. فهي السبب في أن يقوم الشخص العادي بعمل أشياء أعلى من المستوى العادي ويصل إلى نتائج عظيمة.. وهي القوى الكامنة وراء نجاح الإنسان.. وهي الفرق الذي يوضح التباين في حياة الأشخاص.. الدوافع الداخلية هي النور الذي يشع من أنفسنا.. هي المارد النائم بداخلنا في انتظار أن نوقظه..[13].

والعلاقة بينهما أن الدوافع الداخلية تستثار بالدوافع الخارجية، وهذه الأخيرة هي ما يسمى في علم النفس المحفزات، أو المنبهات، «ولا تستطيع المنبهات الخارجية وحدها أن تثير سلوك الفرد إن لم تتجاوب مع عوامل داخلية عنده»[14].

ويحسن أن نذكر هنا مثالا للمحفزات الخارجية التي تنشط الدوافع الداخلية مما يوجه إليه علماء النفس، ومفكرو التنمية البشرية، إذ يقولون: إذا ردّد الإنسان كلاما

بقوة فإنه ينعكس على نفسه إيجابا، ويفجر قواه الداخلية نحو النجاح والتفوق، فمثلا إذا ردّد الإنسان عبارة أنا قوي عدة مرات بثقة وبحضور كل الحواس، فإن هذا يكون رسالة إلى الطاقات الكامنة بداخله لتتفجر وتبدع. هذا ما يسمونه منشط التأكيد[15].

ولعل من أقرب الأمثلة لهذا الأسلوب النفسي في السنة النبوية أن المسلمين لما انهزموا في حنين أقبلوا (إلى رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل فاستنصر، وقال: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)[16]. هذه الكلمات كان لها أثر كبير! جاء في رواية مصعب بن شيبة، عن أبيه، قال: (..فعطف المسلمون فاصطكوا بالسيوف، فقال النبي ﷺ: الآن حمي الوطيس، قال: وهزم الله المشركين)[17]. أين كانت هذه القوة التي انتصر بها المسلمون؟ كانت كامنة حتى استثيرت بمنشط تأكيد الذات الذي يعني عندنا في الإسلام قوة الإيمان بالحق والثبات عليه.

وللدوافع في علم النفس تصنيفات عديدة، ومن التصنيفات الشائعة انقسامها إلى فئتين: دوافع أولية، أي فيسيولوجية، ودوافع ثانوية أي اجتماعية أو مكتسبة، والفئة الأولى يطلق عليها أيضا الحاجات البيولوجية، وإشباعها ضروري للبقاء كالجوع، والفئة الثانية أي الدوافع الثانوية، فكالدافع للحصول على المكانة الاجتماعية أو السلطة..[18].

وواضح أن ميزان هذا التصنيف مادي، مرتبط بقيام الحياة المادية للكائن الحي، ولهذا نلحظ وصف الفئة الثانية بأنها ثانوية، كما أن في التمثيل لها بالحصول على المكانة الاجتماعية ما يوحي بانحصار الفكر النفسي في الحاجات الدنيوية، دون أن يمتد إلى الحاجة الأخروية كما هي الحقيقة عند أهل الإيمان بالله واليوم الآخر.

ويشتهر في تصنيف الدوافع في علم النفس نظرية ماسلو، التي قدم فيها تنظيما

هرميا للدوافع في عدة مستويات، هي على التوالي: حاجات فسيولوجية، حاجات الأمن، حاجات الانتماء والحب، حاجات تقدير الذات، حاجات تحقيق الذات، حاجات الفهم والمعرفة[19].

وعلى أي حال سنستفيد من تصنيف الدوافع في علم النفس الحديث، كما سنستفيد من المعارف النفسية عند العلماء المسلمين.

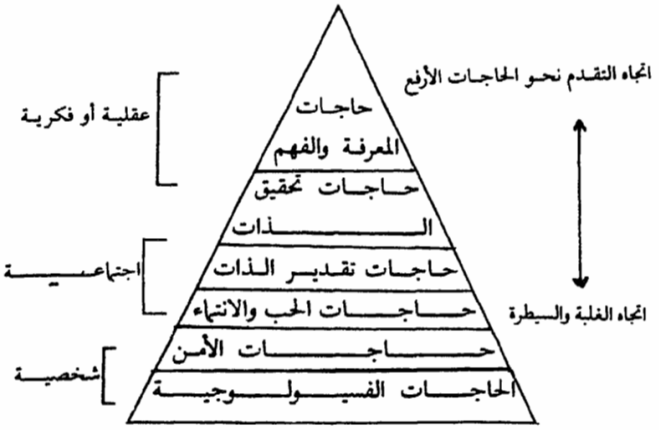


التدرج الهرمي للدوافع حسب نظرية ماسلو

وللدوافع في التراث النفسي عند المسلمين عناية من قديم، فقد درسوها وأطلقوا عليها تسميات متقاربة المعنى، كالبواعث، والدواعي والمستحثات.. فعلى سبيل المثال نجد أبا حامد الغزالي –رحمه الله– يتحدث عن باعث الدين وما يتقوى به، كالترغيب في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا، وفي فضل الصبر وحسن عواقبه في الدنيا والآخرة، وغير ذلك.. قال: «وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان، فتارة يضعف وتارة يقوى فإن قوِي قوّى باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا، وإن ضعف ضعفه، وإنما قوة الإيمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر وأقل ما أوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر..»[20].

ويشير ابن القيم –رحمه الله– إلى وجود الدوافع، ويسميها البواعث والدواعي والمستحثات، وحتى المحرّكات أيضا، فيقول: «وما جعل لكل واحد منها في الطبع المجرد والداعي الذي يقتضيه ويستحثه، فالجوع يستحث الأكل ويطلبه لما فيه من قوام البدن وحياته ونماته، والكَرَى يقتضي النوم ويستحثه، لما فيه من راحة البدن والأعضاء وإجمام القوى وعودها إلى قوتها جديدة غير كالّة، والشبق يقتضي الجماع الذي به دوام النسل وقضاء الوطر وتمام اللذة.. فاقتضت حكمة اللطيف الخبير أن جعلت فيه بواعث ومستحثات تَؤُزُّه أزًّا إلى ما فيه قوامه وبقاؤه ومصلحته، وتَرِدُ عليه بغير اختياره ولا استدعائه، فجُعل لكل واحد من هذه الأفعال محرِّك من نفس الطبيعة يحركه ويحدوه عليه»[21]. والكلام هنا على الدوافع الفزيولوجية كما عند علماء النفس تماما.

### مقصودنا من الدوافع في هذا البحث:

استفدنا مما سبق أن الدوافع، هي مجموع الحاجات والبواعث والقوى الكامنة، الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية التي تحرك الإرادة الإنسانية نحو الفعل؛ ولكن ما مقصودنا بالدوافع في خصوص هذا البحث؟

الواقع أن الذي نُعنى به في هذا البحث هو الدوافع النفسية المعنوية، دون الدوافع الفسيولوجية المادية..

تساءل د. إبراهيم الفقي –رحمه الله رحمة واسعة– ما السبب في أن هناك أشخاصا متميزين وآخرين غير متميزين؟ ما السبب في أن هناك أناسا ناجحين، وآخرين غير ناجحين؟ هناك من يعيش حياته بطريقة أفضل من غيره؟ هناك من يحقق أحلامه وأهدافه بينما هناك من لا يحقق ذلك؟ ما الفارق بين الفريقين؟ وهم متساوون في الخامات: أي الحواس الخمس، والوقت، والعقل والمنطق والقدرة على التفكير والتحليل، والطاقة المتولدة بالمنطق والتفكير والتحليل؟ وطالما أن

الناس يتأثرون بالزمان والمكان والمادة والطاقة؟ ما السبب في أن هناك أناسا متميزين وأناسا ليسوا متميزين؟

ثم أجاب: السبب يسير، وهو أن الشخص المتميز «يستخدم خاماته ووقته وتفكيره وقدراته وطاقته في أن يكون متميزا، وإذا واجهته أي مشكلة فهو يفكر فورا في طريقة حلها، وإذا واجهه أي تحدّ فهو يفكر فورا كيف يواجهه، ويتوكل على الله سبحانه وتعالى، ويرضى بما وهبه الله»[22].

هذا التساؤل يساعدنا كثيرا في تصور الدوافع التي نقصدها في هذا البحث.. لنتساءل بدورنا: ما الذي دفع الشخص المتميز إلى استخدام خاماته وطاقاته؟ إنها الدوافع طبعا.. الدوافع المقصودة في بحثنا هذا، وهي مجموع البواعث والدواعي والحاجات والقوى النفسية، التي تحرك سلوك الإنسان نحو الفعل الإيجابي النافع.

وفي الجملة هناك توافق بين الدوافع في علم النفس والدوافع في منظور هذا البحث، لكن مع بعض التقييدات التي لا بد منها للتفرقة بين ما هو رباني متوافق مع المقاصد الربانية، وما هو معارض لها، مما أنتجه الفكر الإنساني في بعد عن الهدي الإلهي، وعلى سبيل المثال فإن أهم الدوافع وأولاها على الإطلاق في المنظور الإسلامي هو دافع الإيمان، وهذا ما لم يتعرض له علم النفس ذو المصادر الغربية.

فالمسَلَّم به أن الإنسان يشعر بالحاجة إلى معرفة الله سبحانه وتوحيده وعبادته، وإلى الالتجاء إليه والاستعانة به، وما يؤدي إليه ذلك من شعوره بالأمن والطمأنينة.. تماما مثلما يشعر بالحاجة إلى الانتماء إلى جماعة، وإلى أن يكون مقبولاً ومحبوباً بين أفراد جماعته، وأن يكون موضع تقديرهم واحترامهم، مما يحقق له الحياة الآمنة السعيدة في جماعته، وهو يشعر أيضا بالحاجة إلى الإنجاز والنجاح والتفوق وتحقيق طموحاته في الحياة، مما يكسبه الثقة بالنفس، ويحقق له الشعور بالرضا النفسي والسعادة..[23].

هذه الدوافع الأخيرة يذكرها علم النفس بينما يغفل عن الدافع الأول.. دافع الإيمان، فالقوة الأولى المحركة لسلوك الإنسان نحو الخير والإصلاح، والفعل الحضاري المنوط به باعتباره خليفة في الأرض هي قوة الإيمان بالله واليوم الآخر، وقصد الرضا من الله تعالى والتوكل عليه سبحانه، تلك القوة التي تولد العزم والصبر والطمأنينة، والإصرار على تحقيق الأهداف.. ولئن كانت القوى الكامنة الكثيرة تحتاج إلى إثارة وإحياء، فإن قوة الإيمان هي الحياة ذاتها.

وفي القرآن الكريم إشارات وتقريرات واضحة إلى هذا الأمر؛ فطاقة الإيمان والتوكل على الله والتسليم له والرضا بالمقدور تنتج عن الإيمان كما قال جل وعز: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]. كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة]، والشواهد القرآنية كثيرة..

ويمكن أن نسمي هنا من الدوافع التي نقصدها في هذا البحث: روح التفاؤل، وروح التنافس، وروح فريق العمل... ويمكن أن نذكر دوافع أخرى كثيرة، قد يتباين بعضها أو يتداخل مع هذه المذكورة، منها: دافع الإيمان بالنجاح، والرغبة في الإنجاز، والثقة في الذات، وعلو الهمة، ودافع الكرامة الآدمية، والعزة الإيمانية، وغيرها..

ويبدو لي أن هذه الدوافع الذاتية -على كثرتها وتنوعها- يجمعها وصف واحد يسمى في تراثنا العربي والإسلامي (سمو الهمة)، أو (علو الهمة)، فهو -في تقديري- المحرك الكبير، والطاقة الفعالة التي ينشأ عنها كل دوافع النجاح والتميز والإبداع المتعددة. وقد عبّر الإمام ابن الجوزي عن تحريك الدوافع، وتفعيل الطاقات الكامنة في فطرة الإنسان، من خلال ذلك الدافع الكبير فقال: «وقد عرف

بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي، وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات، فإذا حُثّت سارت»[24].

**المطلب الثاني: التميّز.**

التميّز في اللغة تفعُّلٌ من المَيْز، وهو مصدر، من تميّز وهو فعل لازم، ثلاثيّه المتعدي: مَازَ، ميزا من باب باع، والتشديد للمبالغة، وله عند أهل اللغة معان، منها:

التزيّل والانفصال والانقطاع[25]. كما في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾ [يس]، قال المفسرون: الانفراد، وأن يكونوا على حدَةٍ من المؤمنين[26].

ومنها: العزل والفرز[27]، ويناسب هذا المعنى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:179]. أي ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق، حتى يميز بينكم بالمحنة والتكليف، فتعرفوا المنافق الخبيث، والمؤمن الطيب[28].

ومنها: التفضيل، يقال: ماز الشيءَ: فَضَّلَ بعضَه على بعضٍ[29]. وجاء في المعجم الوسيط: (امتاز) الشيء بدا فضله على مثله..[30].

والمعنى الأخير هو الموافق لمقصود هذا البحث، وهو تفضّل بعض الناس على بعض، بمعنى التفوق في الخصال والأعمال وغير ذلك..

وأما في الاصطلاح فنجد من التعريفات قول د. أديب محمد الخالدي: بأنه «تلك القدرة غير العادية، والاستعداد العالي لدى الفرد، وهذه القدرة أو ذلك الاستعداد إما أن يكون موروثا، أو مكتسبا، عقليا كان أو بدنيا»[31]. وهو تعريف

يخص مجال التفوق العقلي، لكنه يقرب لنا المصطلح.

والمتميز «هو كل من يرتفع مستوى فعله أو قوله على العاديين، في أي مجال من مجالات الحياة، وهو الشخص الذي تمكنه قدراته العالية من القيام بفعل أو قول يفوق الآخرين»[32]. ويؤدي معنى التميز الفردي –بدقة واختصار– قولُ ابن الجوزي –رحمه الله–: «والسيرة الجميلة عند الحكماء: خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل»[33].

وفي تقديري: التميّز هو تفوق الإنسان فردا أو جماعة أو أمة على غيره، بسعيه الحثيث واختياره، استثمارا للملكات والقدرات والخصائص التي وهبه الله إياها في تحقيق نفع عائد على عموم جماعة أو مجتمع أو أمة..

وينبغي ههنا التأكيد على أن المقصود بالتميّز ليس مجرد الخصائص والمزايا الموهوبة من الله تعالى للإنسان –فردا أو جماعة أو أمة– مما لا يتدخل فيه سعي الإنسان الحثيث وجهاده المضني ومصابرته للمتاعب ومغالبته للعقبات؛ فما ميّز الله به أمة محمد ﷺ من شريعة خالدة، ورسالة خاتمة، وكتاب معجز ليس من التميّز المقصود في هذا البحث، وكذا كل ما يهب الله تعالى للإنسان من مواهب وقدرات، فلن يكون ذلك تميّزا أبدا حتى تُستثمر تلك المواهب في تحقيق النجاح والتفوق والإبداع.

### ملامح التميز في السنة النبوية:

القراءة المتأملة في السنة تُبدى لنا ملامح واضحة للعناية بالتميز، مما يعطي انطباعا بسبق المنهج النبوي في التعامل مع موضوع التميز واستثماره إلى أقصى الحدود في تنمية الفرد والمجتمع وتطويرهما. فمن ذلك:

أ – إخبار النبي ﷺ بقلة التميز في الأمة تنبيها على الحرص على ما وُجد من

المتميزين ورعايتهم:

والواقع أن النبيَّ ﷺ أهمَّه قلة التميز، فمثَّل له بتمثيل واقعي، ليؤكد أن من يتصف بأوصاف الكمال قليل في الناس، كقلة ما يصلح من الإبل لأنْ يكون راحلة تتحمل أعباء السفر ومشقة الثقل، فعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (تجدون الناس كإبلٍ، مائة لا يجد الرجل فيها راحلة)[34].

أما الراحلة فهي النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره، فهي كاملة الأوصاف فإذا كانت في إبل عُرفت، سميت راحلة لأنها ترحل أي يُجعل عليها الرَّحْل، وأما مقصود هذا التمثيل النبوي فاختار الإمام النووي من كلام الشُّرَّاح: «أن معناه المرضيّ الأحوال من الناس، الكامل الأوصاف، الحسن المنظر، القوي على الأحمال والأسفار..»[35].

والمتميزون القلائل هم من يُعتمد عليهم في الأوقات الحرجة، كاعتماد النبي ﷺ على حذيفة ﷺ، قال حذيفة: (لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريحٌ شديدة وقرٌّ، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: قم يا حذيفة، فأتنا بخبر القوم، فلم أجد بُدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم..)[36].

ب – التنبيه على تفاوت الملكات والاستعدادات وانتشارها في الناس:

البشر يشتركون في الخصائص الإنسانية، ولكن يتفاوتون في مدى قوة هذه الخصائص والملكات. يشير إلى هذا ما رواه أبو هريرة ﷺ في قوله: (قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فيوسف نبي

الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)[37].

والذي نفهمه من هذا الحديث أن هناك مواهب فطرية مركوزة في نفوس الناس، وأنهم إذا تحلوا بالفهم والمعرفة تميزوا وكان لهم التفوق والفضل، كما تتمايز المعادن، قال النووي: «ومعناه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا وفقُهوا فهم خيار الناس»[38].

وتنتشر المواهب في الناس كما في انتشارها بين الصحابة ﷺ، فلقد كان فيهم من تميز بالمعاملة الرحيمة، كأبي بكر، ومنهم من تميز بالقيادة الحازمة، كعمر، ومنهم من تميز بصدق الحياء، كعثمان، وعلم الحلال والحرام كمعاذ بن جبل، وعلم الفرائض كزيد بن ثابت، وإتقان القراءة كأبيّ بن كعب، وبالأمانة كأبي عبيدة، ﷺ.

فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبيٌّ بن كعب، ولكلّ أمة أمينٌ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[39].

وكان منهم من برع في الشّعر كحسان بن ثابت ﷺ الذي شهد له رسول الله ﷺ بقوله: (هجاهم حسان فشفى واشتفى)[40]. ومنهم من تميز بالقدرة على الحكم والقضاء، كسعد بن معاذ ﷺ، الذي حكم في بني قريظة، فأصاب فقال له ﷺ: (حكمت بحكم الله، أو: بحكم الملك)[41].

ج – الإخبار بسعة مجالات التميز، تنبيها إلى تحقيق التكامل بين الكفاءات:

فقد يتميز بعض الناس في جانب دون جوانب، وليس بالضرورة أن تتعدد جوانب التميز في الفرد؛ بل يكفي أن تبرز قدرات الإنسان وإبداعاته في ناحية أو في

بعض النواحي دون غيرها، قد يشير إلى هذا حثُّ النبي ﷺ لنا على العمل، ومع التجارب الأولى للعمل سيكتشف الفرد جوانب القدرة في نفسه: يقول ﷺ: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)[42].

ومن مجالات التميز التي بدت في السنة النبوية: مجال الفهم والحفظ، والمواهب الأدبية والرياضية، وفنون القتال، والقدرة على القيادة والإدارة، وإتقان المهن والصناعات والحرف، وسائر الفنون والصناعات.. وقد يكون التميز من بعض الأفراد في بعض الفروع مما ذُكر دون غيره.. ولكنّ في ذلك تنبيها على لزوم السعي في سبيل تكامل الملكات والقدرات بين أفراد المجتمع الواحد وتوجيهها نهو تحقيق الأهداف المسطّرة.

من أمثلة ذلك أن ملكة الحفظ والفهم معا قلما تجتمع في الفرد الواحد، فعن زيد بنِ ثابت ﷺ، قال سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: (نضَّر الله امرأً سمع منا حديثا، فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه)[43]. قال الإمام الشافعي –رحمه الله–: «دلَّ على أنه قد يحمل الفقهَ غيرُ فقيه، يكون له حافظا ولا يكون فيه فقيها»[44]. وكثيرا ما وُجد متميزون بإحدى الملكتين دون الأخرى عبر تاريخنا، فوُجد المحدثون والفقهاء، وتكاملت الملكات الفردية في الأمة.

د – احتفاء السنة النبوية بالمتميزين والمبدعين:

احتفت السنة بالتميز والمتميزين احتفاء بالغا، ومن دلائل ذلك: تقديم المتميزين بالعقل والحلم والأناة وضبط النفس إلى مراتب الشرف ومواضع الشورى، ومواقع القيادة، والإشارة إلى ذلك –بقياس الأولى– في قول رسول الله ﷺ في صفوف الصلاة: (ليلني منكم أولو الأحلام والنهى)[45].

ومن ذلك ملاحظة المتميزين واكتشافهم والانتباه لهم، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه حدّث عن بناء المسجد فقال: (كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة، وكان عمار

ينقل لبنتين لبنتين، فمر به النبي ﷺ، ومسح عن رأسه الغبار، وقال: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار)[46].

وفي تشجيع المتميزين ومكافأتهم روى سلمة بن الأكوع ﷺ قال: (قال رسول الله ﷺ: كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سَلَمَة. قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس وسهم الراجل فجمعهما لي جميعا..)[47].

وفي الحثّ على تميز المسلم بوجه عام روى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم. فظننت أنه يعني النخلة فأردت أن أقول هي النخلة يا رسول الله، ثم التفتُّ فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكتّ، فقال النبي ﷺ: هي النخلة)[48].

وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تُؤكل أنواعا، ثم بعد ذلك يُنتفع بجميع أجزائها، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره، حتى بعد موته[49]. والمقصود تميز للمسلم، بالإيجابية والتأثير، حتى لا يكون كلاًّ على الحياة.

وفي مقصودية تميز الأمة المحمدية حدّث أبو سعيد الخدري ﷺ، أن النبي ﷺ، قال: (لتتبعن سنَنَ من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا يا رسول الله: اليهود، والنصارى قال: فمن؟!)[50]. ففيه تحذير للمجتمع المسلم من التبعية العمياء، والاستلاب للغير، وفقدان تميز الشخصية الإسلامية واستقلاليتها.

### المطلب الثالث: الإبداع.

الإبداع في اللغة ابتداء الشيء وصنعُه لا عَنْ مِثال، أي: سابق، ويكون في الأقوال والأفعال[51].

وأمّا معناه في الاصطلاح فيتمثل في نشاط الإنسان الذي يتصف بالابتكار وبالتجديد، وهو يمثل النشاط الذي يقف على العكس من الاتباع والتقليد، لهذا فإن الإنتاج الذي يتصف بالإبداع تتوفر في صياغته النهائية صفات الجدة والطرافة، وإن كانت عناصره الأولية موجودة من قبل.. ويندرج تحت معنى الإبداع كل من الاختراع كاختراع وسيلة لغاية معينة، والاكتشاف كاكتشاف معرفة جديدة بأشياء كانت موجودة، سواء وجودا ماديّا، أو وجودا علميّا[52].

والملاحظ أن هذا التعريف يصف الإبداع بأنه نشاط للإنسان، وهناك من عرفه بأنه ملكة، فقال: هو ملكة يتأتى من خلالها اكتشاف شيء جديد لم يُسبق إليه المبدع[53].

ومعلوم أن الملكة هي القوة الكامنة في النفس، وقد توجد هذه القوة ولا يوجد إبداع، هذا ما يجعل الباحث يميل إلى التعريف الأول، أي أنه نشاط صادر من الإنسان ذي الملكة. هذا ما نجده في تعريف أليكساندرو روشكا للإبداع الخاص بأنه: النشاط أو العملية التي تقود إلى إنتاج يتصف بالجدة والأصالة والقيمة من أجل المجتمع، أما الإبداع بمعناه العام (الواسع) فهو إيجاد حلول جديدة للأفكار والمشكلات والمناهج.. الخ[54].

وتقييد الإبداع بتحقيق إنتاج جديد وذي قيمة من أجل المجتمع هو ما عليه معظم الباحثين، فالعمل الإبداعي لا بد أن يتصف بثلاثة صفات: الحداثة أو الجدة، والفاعلية، بأن يحقق هدفا، والأخلاقية، بأن يوافق القيم الدينية والإنسانية ولا يناقضها[55].

والإبداع في المفهوم الحضاري الإسلامي هو انطلاق للطاقات العقلية، دون قيود إلا الالتزام بالإطار الأخلاقي والإنساني الذي يوجه طاقة الإبداع لدى الفرد أو الجماعة توجيها بنّاءً نافعا، والسنة النبوية لا تفتح مجال الإبداع فحسب؛ بل

تشجع عليه، وتعد على المبادرة الإبداعية بالأجر أو الأجرين؛ بل تجعل لصاحب المبادرة الناجحة المتميزة من الأجر بقدر أجور من انتفع بها وعمل بها. قال ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده..)[56].

ولقد طُرحت مشكلة الإبداع في هذا العصر، وبيّنت الدراسات المختلفة الحاجةَ الماسة لذوي القدرات العالية، وذلك بسبب المشكلات التي تطرح على المجتمعات المعاصرة، والتي تحتاج إلى حلول قيمة وأصيلة. وكل شعب واع لمستقبله يعمل جاهدا لإيجاد عدد من الناس الموهوبين ذوي القدرات العالية والمتنوعة من مختصين وقياديين مبدعين في فروع النشاط الإنساني كافة[57].

ويتحقق الإبداع بفعل الدوافع الذاتية، وهو ما يسمى القدرات الإبداعية، وهي «الاستعدادات العقلية التي يلزم توفرها للأشخاص حتى يقوموا بأنواع من السلوك الإبداعي»[58]. وتتجلى تلك الدوافع في ما يسمى بالحساسية للمشكلات، وهي «أهم قدرات الذكاء الإبداعي؛ إذ لا سبيل إلى أي إنتاج إبداعي دون الإحساس بمشكلات تؤرق صاحبها في مجال إبداعه، مما يدفعه إلى تجاوز هذه المشكلات بإنتاجات إبداعية»[59].

ومن المناسب هنا أن نذكر مثالا للإبداع من السنة النبوية، من خلال حوار إبداعي ينتهي بحل مشكلة واقعية، قال ابن عمر ﷺ: (كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتَحَيَّنون الصلاة ليس يُنادى لها، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخِذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة، فقال رسول الله ﷺ: يا بلال قم فناد بالصلاة)[60].

هذا نموذج لما يسمى الإبداع الجماعي، وبتأمله ندرك الحقائق الآتية:

أ – فتح النبي ﷺ المجال للحوار وحرية الفكر، لاستحثاث الطاقات العقلية من أجل اقتراح الحلول.

ب – في هذا الحوار تتجلى حقيقة الإبداع وغايته التي هي إيجاد الحلول للمشكلات الواقعة.

ج – تميز ونبوغ سيدنا عمر ﷺ، ونجاحه في الوصول إلى الحل الأنسب، وهو الحل الذي لقي موافقة واستحسانا من النبي ﷺ.

د – يستفاد من تأييد الرسول ﷺ لرأي عمر ﷺ أن الأفكار والحلول المبتكرة في أمتنا ينبغي أن تتسم بالأصالة والاستقلالية والبعد عن التبعية والتقليد للآخر، وفي ذلك تميز الأمة واستقلالها، وهذا شيء مهم في بناء حضارتنا وصناعة مستقبلنا.

## المبحث الثاني

## الدوافع الذاتية في السنة النبوية (نماذج وتطبيقات)

للدوافع الذاتية دور فعال في تحقيق النجاح والتميز، يقول علم النفس الحديث: إن معرفة الدوافع الإنسانية وفهمها ضرورة لكل من يشرف على جماعة من الناس ويوجههم ويجهد في حفزهم على العمل.. ويحتل موضوع الدوافع اليوم مركز الصدارة في الصناعة الحديثة، وذلك ابتغاء رفع مستوى الكفاية الإنتاجية لدى العاملين[61]. وفي الوحي الإلهي –قرآنا وسنة– تنبيه على دور الدوافع، ومن إشارات القرآن في ذلك، قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران:146-148]. فهؤلاء الذين تميزوا مع أنبيائهم، إنما تميزوا بدوافع داخلية من قوة العزيمة والصبر والتجلد وحب التضحية، وطلب العون من الله تعالى،

والملاحظ أن نتيجة هذا التميز عادت عليهم بالحسنى في الدنيا والآخرة.

ومن الإشارات الواضحة في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء]. فالآية تقرر أن كلاً مؤمن، وكلاً موعود بالحسنى، ولكن اختلفت درجتهم بسبب الجهاد والقعود، وهذا في معنى ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان)[62]. وفي ذلك تحضيض للمؤمن على التميّز بالقوة الإيمانية والنفسية، والحرص على مصالح الدنيا والآخرة، واستمداد العون من الله، والانفلات من قيود العجز والتواكل والتردد والانفعالية، والثقة في الله ثم في الإمكانات، والتسليم لقدر الله الغالب بعد ذلك.. وعدم الاستسلام لليأس والفشل إزاء الإخفاق في التجارب السابقة، وفيه ما فيه من تفعيل الطاقات الكامنة وتوجيهها نحو الفعالية والنجاح والإبداع والتميز.

يقول أحد النفسانيين الغربيين: «إن الوقوع تحت وطأة الشعور بالسلبية والتردد وعدم الاطمئنان للإمكانات هو بداية الفشل، وكثير من الطاقات أهدرت وضاعت بسبب عدم إدراك أصحابها لما يتمتعون به من إمكانات أنعم الله بها عليهم؛ لو استغلوها لاستطاعوا أن يفعلوا الكثير»[63].

والقرآن يأمر النبي ﷺ -والأمر لمن بعده من القادة- بتفعيل وتحريك الدوافع الذاتية للمسلمين من أجل تحقيق الإنجازات المقدور عليها، من ذلك تحريك دافع

حب الانتصار على قوى الظلم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنفال]. وفيه استثارة للهمم واستجاشة للأمل في النصر.

وفي السنة النبوية شواهد جمة على العناية بالدوافع الداخلية للإنسان، استثارةً وتوجيهًا نحو الأهداف الربانية، التي تحقق الخيرية والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وبقدر ما تكون الاستجابة للمنهج النبوي في التعامل مع هذه الدوافع بقدر ما يتحقق للناس من النجاح والتفوق والإبداع والتميز. وقبل التفصيل في الدوافع الذاتية المراد دراستها وشواهدها وتطبيقاتها نذكر هنا أنموذجا تطبيقيا لتحريك الدوافع في السنة النبوية:

من المسلم به أن الخالق الكريم كرّم الإنسان وغرز في لبه الاعتزاز بالكرامة الآدمية التي تأبى الهوان، فكان من مقاصد الإسلام، إباء الذلة والمسكنة، والحرص على كريم المطعم والملبس.. والاعتماد على الله وعلى النفس في ذلك، ومن التوجيهات النبوية في هذا حديث عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– (أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف والمسألة: اليد العليا خير من اليد السفلى فاليد العليا هي المنفقة والسفلى هي السائلة)[64]. إن هذا التوجيه لحري بأن يلزمه الفرد والأمة جميعا، لما فيه من الكرامة الآدمية، والعزة الإيمانية التي هي صفة المؤمنين.. ولن يتميز بهذه العزة من سهل عليه الهوان فاستجدى لقمة العيش من غيره، وأبعدُ منه مَن عوَّل في ضرورات حياته على عدوه!

وفي بعث دافع الاعتزاز بالكرامة الآدمية روى أنس بن مالك ﷺ، (أن رجلا من الأنصار أتى النبيَّ ﷺ يسأله، فقال: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء، قال: ائتني بهما، قال: فأتاه بهما، فأخذهما

رسول الله ﷺ بيده، وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا، آخذهما بدرهم، قال: من يزيد على درهم، مرتين، أو ثلاثا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال: اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوما فأتني به، فأتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده، ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوما، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبا، وببعضها طعاما، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتةً في وجهك يوم القيامة..)[65].

في هذا الأنموذج نرى تعامل النبي ﷺ مع حالة من التواكل والعجز، وضمور دافع الكرامة والعزة، والاستهانة بالإمكانات واليأس من المحاولة، حتى حركها النبي ﷺ، فاستثمر ما عنده من دوافع نفسية، وإمكانات جسدية ومالية، ودفعه إلى العمل والتنمية الاقتصادية، بتخطيط ومتابعة، فإذا كانت النتيجة؟ نجاح على المستوى النفسي، وخروج من حالة الفقر، وظهور حالة مريحة من الرفاه الاقتصادي المبشر.

ولنأت الآن إلى التفصيل في الدوافع.

**المطلب الأول: روح التفاؤل**

**أولا: تعريف التفاؤل.**

قال أهل اللغة: الفَأْلُ أن تسمع كلاما حسنا فتتيمن به، وإن كان قبيحا فهو الطِّيَرَة[66]. ومثّلوا له فقالوا: الفَأْلُ أن يكون الرجل مريضا فيسمع آخر يقول يا سالم، أو يكون طالبا فيسمع آخر يقول يا واجد[67]. ويقال تفاءلتُ بكذا بالتخفيف، وتفأّلتُ بالتشديد وهو الأصل[68].

ويقابل التفاؤل التطيّر وهو التشاؤم، قال النووي: «والتطير التشاؤم، وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي، وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء

والطيور فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا فى سفرهم وحوائجهم وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدهم فى كثير من الأوقات عن مصالحهم، فنفى الشرع ذلك وأبطله»[69].

والتفاؤل في الاستعمال هو الكلمة الطيبة، أو الصالحة، أو الحسنة، التي يسمعها السامع من غير قصد، فيستبشر بها، بهذا فسره النبى ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا طِيَرَة، وخيرها الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم)[70].

والواقع أن كلمة التفاؤل لم يعد معناها قاصرا على ما يُسمع من الكلمات الطيبة، التي لا يُنكر دورها في زرع الأمل في النجاح، وإنما توسع معناها ليرادف كل ما يدل على الإيمان بالنجاح والتعلق به، والأمل والرجاء، والثقة في حسن العاقبة، وما ينعكس على الفرد والجماعة من حرص شديد على تحقيق الأهداف. حتى غدا معنى كلمة التفاؤل يقارب معنى الأمل، ويقابل اليأس والعجز والقنوط والانهزامية. ومن التعريفات الواسعة: أنه «شعور حسن بحصول خير، أو تمنّ في النفس ينزع نحو الخير، مثل: حصول ربح في تجارة، أو نيل ترقية في وظيفة، أو توقع النجاح في امتحان..»[71].

والمقصود بالأمل في اللغة الرجاء، أما في الاصطلاح فهو تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل..[72]. ومن ركائز عقيدتنا التعلق بالأمل وطرد اليأس، فالأمل حياة للنفوس، وهو أخ للروح التي تسكن الجسد، واليأس موت للأرواح، ووأد للطموح، وضيق للقلوب وحرج للصدور.

**ثانيا: التفاؤل دافع فطري في النفوس.**

وروح التفاؤل دافع فطري مغروز في النفس الإنسانية، قال ابن بطال رحمه الله:

«وقد جعل الله في فِطرة الناس محبة الكلمة الطيبة والفأل الصالح والأنس به، كما جعل فيهم الارتياح للبشرى والمنظر الأنيق، وقد يمر الرجل بالماء الصافي فيعجبه وهو لا يشربه، وبالروضة المثورة فتسره وهي لا تنفعه»[73].

وكان النبي ﷺ يحب الفأل الحسن، ويستبشر به، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا عدوى ولا طِيَرَة وأُحِبُّ الفألَ الصالح)[74]. قال العلماء: «وإنما أحب الفأل لأنّ الإنسان إذا أمل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير فى الحال، وإن غلط فى جهة الرجاء فالرجاء له خير، وأما اذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى فإن ذلك شر له، والطِيَرَة فيها سوء الظن وتوقع البلاء»[75].

ويندرج التفاؤل في الدافعية العامة، التي تعني «الحاجة لدى الفرد للتغلب على العقبات ومواجهة التحديات الصعبة، والتفاني في العمل والمثابرة المستمرة»[76].

إن روح التفاؤل ترتبط بالإيمان بالنجاح، وهي قوة الرغبة في تحقيق الإنجاز، وتحدي العقبات التي تعترض طريقنا، والاستمرار في العمل نحو الأهداف. و«ما قيمة الهدف الذي لا تحركه رغبة قوية مشتعلة، إن الرغبة القوية هي الأكسيجين الذي تتنفسه الأهداف كي تحيا على أرض الواقع»[77].

لقد فشل المكتشف الشهير أديسون مئات المرات قبل أن يكتشف ضوء المصباح الكهربائي، بل اتهمته الصحف بالجنون، وهذا ما حصل مع هنري فورد عندما أصيب بالإفلاس خمس مرات قبل أن ينجح في اختراع سيارته، ولقد رُفض كولونيل ساندروس من قبل أكثر من ألف مطعم، قبل أن يزدهر مطعمه بوجبة الكنتاكي الشهيرة، فما الذي يجمع كل هؤلاء بصفة عامة؟ إنه الرغبة في الاستمرار. والرغبة في الاستمرار هي القوة الخفية التي تساعدنا نحو التقدم[78]. قال نورمان فينسي: «لا تيأس فعادة ما يكون آخر مفتاح في مجموعة المفاتيح هو المناسب لفتح

الباب»[79].

**ثالثا: نماذج وتطبيقات.**

كان النبي ﷺ يبث روح التفاؤل، ويزرع الأمل في تحقيق الأهداف، ويحارب روح اليأس والقنوط في النفوس، يبدو ذلك في الظروف الحرجة، والأزمات الشديدة، ومن دلائل ذلك:

أ – عن خباب بن الأرتّ ﷺ، قال: (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيُجعل فيه، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشقّ باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمَشَّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله لَيُتِمَّنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)[80].

ب – كان رسول الله ﷺ يتفاءل بحصول الخير ولو كان مستبعدا في النظرة العجلى؛ ولذلك لما ردّه قومه وأنكروا دعوته، وقال له ملك الجبال: (يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)[81].

يقول ﷺ ذلك ليحارب روح التشاؤم واليأس في النفوس، ويضع على بصائر الناس نظّارات التفاؤل والثقة والاطمئنان بدل نظارات التشاؤم والتردد والاضطراب.. فـ«المتشائم: يرى الأسوأ في كل شيء، يأخذ الأمور على محمل شخصي، ويلقي على عاتقه كل المسؤولية، ثم يقوم بالتعميم، ويشعر بمشاعر سيئة ليس فقط إزاء ما قد فعل، ولكن إزاء نفسه أيضا. ثم يقوم بالتعميم ويشعر بأن ليس

هناك شيء صحيح. ثم يقوم بالتعميم على المستقبل، ثم يستسلم ويكف عن محاولة التغيير، ثم يقوم بالتركيز على نجاة نفسه، وقد يرى أنه لا فائدة في محاولة النجاة»[82].

وفي ذلك روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم). قال أبو إسحاق [إبراهيم بن محمد النيسابوري، صاحب مسلم]: لا أدري أهلكَهم بالنصب أو أهلكُهم بالرفع[83].

يقول مفكرو التنمية البشرية: ليس المهم ما يقع عليك من مشكلات الأحداث، المهم بأي عين تنظر للحدث، بعين المتفائل المستبشر بالخير، أم بعين المتشائم المتكهن بالشر، تأكد من لون نظارتك التي ترتديها أهي سوداء مظلمة أم بيضاء مشرقة؟ صاحب النظارة السوداء لا يرى إلا الظلمة والنقص والفشل، وصاحب النظارة البيضاء، ذلك المطمئن بالله المتوكل عليه، الراضي بقدره، لا يرى إلا الخير القادم والكمال والنجاح[84].

ج – ولما عرض للصحابة في حفر الخندق حجرٌ لا يأخذ فيه المعول، واشتكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، (جاء رسول الله ﷺ فألقى ثوبه، وأخذ المعول وقال: بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة، قال: الله أكبر، أعطيت مفاتح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحُمر الآن من مكاني هذا، قال: ثم ضرب أخرى وقال: بسم الله، وكسر ثلثا آخر، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ثم ضرب الثالثة وقال: بسم الله، فقطع الحجر، قال: الله أكبر، أعطيت مفاتح اليمن، والله إني لأبصر باب صنعاء)[85].

ففي مثل هذه الظروف الصعبة، يمد المتفائل ببصره إلى الأفق البعيد، مستلهما طاقة الإيمان والثقة بوعد الله، فيرى في كل محنة منحة، ويقدر الفرص ويستثمرها، أما المتشائم فيرى محنة في كل منحة، ويرى الفرص مشكلات[86].

د – عن سلمة بن الأكوع قال: (.. أتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة ثم قال ﷺ: إن الله فتحها عليكم)[87]. وفي رواية عن أنس، أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، قال: (.. فلما دخل القرية قال: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) قالها ثلاث مرار..)[88].

نقل النووي عن القاضي عياض: «قيل: تفاءل بخرابها بما رآه في أيديهم من آلات الخراب من الفؤس والمساحي وغيرها»[89].

هـ – وفي بث روح التفاؤل في المجال العلمي وحث الأطباء والصيادلة على استكشاف الأدوية وعلاج الأمراض المستعصية، والتعلق بالأمل في الشفاء يقول النبي ﷺ: (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)[90].

إنّ لروح التفاؤل والأمل دافعية في النفوس نحو النجاح والإبداع والتميز، وهذا ما يجب أن يُعنى به المربون والموجهون والمديرون في كل ميادين الحياة، حتى «نقاوم روح اليأس والانهزامية المميتة التي تشيع بين الناس، أن لا فائدة، ولا أمل في تغيير أو إصلاح، وأن ما يأتي أسوأ مما يذهب، فهذه الروح الانهزامية منافية لمنطق الحياة التي يعقب الله فيها النهار بعد الليل، والخصب بعد الجدب، ومنافية لمنطق الكفاح الذي نهضت به الأمم، وسادت به الشعوب، وهي قبل ذلك منافية لمنطق الإيمان الذي يرفض اليأس ويعتبره من دلائل الكفر ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:87]»[91]. واليأس والقنوط عجز، والعجز نمط شخصي بغيض يتم اكتسابه بسبب التشاؤم[92].

**المطلب الثاني: روح التنافس**

**أولا: تعريف روح التنافس.**

التنافس في اللغة: الرغبة في الشيء وحبّ الانفراد به على وجه المباراة، أي: المسابقة[93]. وإبراز القوة أمام المبارز[94]. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ

﴿ٱلْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطفّفين]. أَي وفي ذلك فَلْيَتَرَاغَب المتَراغبون[95]. ومن معاني التنافس التحاسد[96]، وقد ورد استعمال الكلمتين في السنة بمعنى واحد، وقد تستعمل إحداهما مكان الأخرى، وينبغي هنا التنبه إلى المعنى المقصود من خلال السياق. ففي قوله ﷺ: (لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)[97]. تنافس مذموم، وهو التحاسد المذموم، وأما في قوله ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل)[98]. فهو التنافس المحمود الذي يدفع إلى التميز والإبداع في ميدان العلم وميدان الاقتصاد، اللذين هما -اليوم- من أهم ميادين المنافسة.

وروح التنافس في الاستعمال «نزعة فطرية تدعو إلى بذل الجهد في سبيل التشبه بالعظماء واللحوق بهم»[99]. أي في نجاحهم، وإبداعهم، وتميزهم.

والحياة اليوم بكل مجالاتها ميدان للتنافس ليس بين الأفراد فحسب، بل بين والأمم والحضارات. ويشكل موضوع الجودة العالية محورا تشتد فيه المنافسة، بين المؤسسات الاقتصادية في المنتوج والخدمة.

**ثانيا: روح التنافس دافع فطري.**

ودافع التنافس من الدوافع النفسية الاجتماعية الشائعة بين الناس. وتحدد ثقافة المجتمع وقِيَمُه الأشياءَ التي يُستحسن فيها التنافس[100]. وروح التنافس ميدان لإثبات الذات وتوكيدها.

ويشير القرآن الكريم -بوضوح- إلى استثمار دافع المنافسة لتحقيق الإنجازات،

كما في قول سليمان عليه السلام لجنده: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [النمل]. هذا دليل خاص، وهناك أدلة عامة في هذا الشأن كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة:148]. وقوله سبحانه: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات]، وقوله جل وعز: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطفّفين].

والآيات الثلاث الأخيرة جات في سياق المسابقة والتنافس في أمر الآخرة، والمعنى يعم، لأنّ التنافس في أمر الآخرة لا ينفي التنافس في أمر الدنيا، فروح المنافسة التي يبثها الإسلام مجالها صلاح الدنيا والآخرة جميعا، وإذا توجهت العزائم إلى تحصيل الفلاح في الآخرة فلا بد أن تسعى في بناء حضارة الدنيا، لأن السعيين في المنهج الإسلامي ذوا غاية واحدة، كما أن جزاء السعي إلى رضوان الله عطاء الدنيا والآخرة.

والحق أن التنافس في أمر الآخرة يرتفع بأرواح المتنافسين جميعا. بينما التنافس في أمر الدنيا ينحط بها جميعا. والسعي لنعيم الآخرة يصلح الأرض ويعمرها ويطهرها.. والتنافس في نعيم الآخرة لا يدع الأرض خرابا بلقعا كما قد يتصور البعض.. إنما يجعل الإسلام الدنيا مزرعة الآخرة، ويجعل القيام بخلافة الأرض بالعمار مع الصلاح والتقوى وظيفة المؤمن الحق. على أن يتوجه بهذه الخلافة إلى الله، ويجعل منها عبادة له تحقق غاية وجوده كما قررها الله -سبحانه- وهو يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، وإن قولة ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطفّفين].. لهو توجيه يمد بأبصار أهل الأرض وقلوبهم وراء رقعة الأرض الصغيرة الزهيدة، بينما هم يعمرون الأرض ويقومون بالخلافة فيها..[101].

**ثالثا: نماذج وتطبيقات من بث روح التنافس في السنة النبوية.**

**كان الرسول ﷺ يبعث في المسلمين روح التنافس في القيام بالأعمال النافعة للإسلام والمسلمين، كالفروسية والبطولة العسكرية والقوة البدينة، والتنمية الاقتصادية وغير ذلك.. وفي السنة النبوية شواهد جمة في هذا، منها:**

1 – إثارة روح المنافسة في الحرب الإعلامية: عن عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله ﷺ قال: (اهجوا قريشا فإنه أشد عليهم من رشق بالنبل. فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم فهجاهم فلم يرض. فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت.. قالت عائشة –رضي الله عنها– قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هجاهم حسان فشفى واشتفى)[102].

2 – إثارة التنافس على المناصب القيادية والإدارية: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه. قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ. قال: فتساورتُ لها [تطاولت] رجاء أن أُدعى لها. قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها..)[103]. وقول عمر ﷺ: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، يدل على مبلغ ما وصلت إليه استثارة دافع التنافس على الخير.

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ، أن النبي ﷺ قال لأهل نجران: (لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام، قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة)[104].

3 – إثارة روح التنافس في اكتساب أسباب القوة العسكرية والبدنية: وذلك كرياضة الأبدان والفروسية والرمي، فعن ابن عمر –رضي الله عنهما– (أن نبي الله ﷺ كان يضمر الخيل يسابق بها)[105]. وعنه –رضي الله عنه– (أن رسول الله ﷺ

سابق بالخيل التي قد أضمرت من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر، من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر فيمن سابق بها)[106].

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ، قال: (مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون، فقال النبي ﷺ: ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا، ارموا، وأنا مع بني فلان، قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ قال النبي ﷺ: ارموا فأنا معكم كلِّكم)[107].

4 – إثارة روح التنافس في الميدان الاقتصادي من أجل كفاية الحاجات الأساسية في المجتمع: قال عثمان بن عفان ﷺ: قال النبي –: (من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين)[108]. فاشتراها عثمان ﷺ. فكان هذا التميز بالإنجاز من عثمان ﷺ، بدافع روح المنافسة ابتغاء الدار الآخرة.

ولقد أثمر المنهج النبوي في بث التنافس لدى الصحابة ﷺ، حتى روى زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ، يقول: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدا)[109]. ولا يخفى أثر هذه الروح في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والتوازن المالي، وكفاية الحاجات الأساسية للمجتمع.

5 – حدود روح التنافس: عن أنس ﷺ، قال: (كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء، لا تُسبق – قال حميد: أو لا تكاد تُسبق – فجاء أعرابي على قعود (ناقة فتية) فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال: حقٌّ على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه)[110]. وفيه بيان لحد التنافس، وأنه لا ينبغي أن يتجاوز

به حد الوسيلة.

### المطلب الثالث: روح المبادرة

#### أولا: تعريف المبادرة.

المبادرة قريب من المنافسة، فكلاهما فيه سبق، والفرق أن المبادرة قد لا تكون مع وجود المنافس. وكلاهما دافع نفسي فطري، يبعث على التميز والإبداع والتطوير.

والمبادرة في اللغة الإسراع إلى الشيء[111]. ومعاجلته، أي قبل فواته[112]. وبهذا المعنى جاء حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم..)[113]. ومعناه الحث على المسارعة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها، بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة، كتراكم ظلام الليل المظلم[114].

ويمكن أن يقال في معنى روح المبادرة: إنها دافع ذاتي داخلي، يبعث على المسارعة إلى فعل يعود بالخير والنفع, على المجموع كأن يخفف من أزمة، أو يحل مشكلة.. يصاحبه الشعور بالمسؤولية.

يقول ستيفن كوفي ما ملخصه: أن المبادرة معناها القدرة على اتخاذ القرار تجاه الظروف أو على الأقل اختيار نوع الاستجابة، فيكون السلوك نتاج قرار مسؤول، واختيار واع مبني على أساس القيم التي تحث على العمل المثمر، وليس وليد الظروف المحيطة[115]. فالمبادر يتميز بالمسؤولية وقوة الشخصية والاعتماد على الذات.

#### ثانيا: روح المبادرة دافع نفسي فطري.

«المبادرة طبيعة بشرية»[116]، وروح المبادرة ترتبط بتحقيق الذات والرغبة في الإنجاز، والمبادرون لديهم رغبة قوية في إنجاز الأعمال والمشروعات، لذلك تتعلق

هممهم بالنتائج العليا، ولا يرضون بالتواكل على الآخرين، ويحسون بالانتشاء والسعادة وهو يبادرون إلى الأعمال قبل غيرهم. ولا ننسى أن روح المبادرة شديدة الارتباط بروح التنافس، وكلاهما داخل في دافع الإنجاز، وهو: دافع داخلي يتمثل في رغبة الفرد في التفوق والمنافسة(117).

و«يعتبر الدافع للإنجاز مكونا أساسيا في سعي الفرد تجاه تحقيق ذاته وتوكيدها، حيث يشعر الفرد بتحقيق ذاته من خلال ما ينجزه، وفي ما يحققه من أهداف، وفي ما يسعى إليه من أسلوب حياة أفضل، ومستويات أفضل لوجوده الإنساني»(118).

ويرمز إلى روح المبادرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون]، قال المفسرون: يسارعون فيها على معنى يسابقون من سابقهم إليها، فالمفعول محذوف. (وهم لها سابقون) معناه أنهم يسبقون إلى أوقاتها..(119)، وذلك حتى لا تفوتهم.

**ثالثا: نماذج وتطبيقات لإثارة روح المبادرة من السنة:**

في السنة النبوية شواهد كثيرة لإثارة روح المبادرة في النفوس، منها:

**1 – إثارة روح المبادرة من أجل سد الخلل المالي.**

يثير النبي ﷺ دافع روح المبادرة، إلى سد الحاجات الأساسية للناس، كما في حديث جرير بن عبد الله ﷺ، قال: (جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطؤوا عنه حتى رُئِيَ ذلك في وجهه. قال: ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرة من ورِق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة، فعُمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعُمل بها بعده،

كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء)[120].

2 – إثارة روح المبادرة من أجل استباق الفتن واغتنام الفرص:

– وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا)[121].

وفرص الحياة التي ينبغي اغتنامها كثيرة، منها الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة.. فعن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: (اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)[122].

3 – إثارة روح المبادرة في الاطلاع على أخبار العدو (الحس الأمني):

عن جابر ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: (من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟ قال الزبير: أنا، ثم قال: من يأتيني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا، فقال النبي ﷺ: إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير)[123]. ومن المنطقي أن من يتميز بروح المبادرة يستحق التكريم والمكافأة المعنوية، بالأوسمة والألقاب.

4 – تشجيع المبادرات واقتراح الحلول:

فتح النبي ﷺ باب المشاورة لأصحابه، وسمح لهم بالمبادرات النافعة وقبلها ونفذها، من ذلك اقتراح الحباب بن المنذر ﷺ، في غزوة بدر، لما نزل ﷺ بأدنى ماء من بدر قال له الحباب بن المنذر: (يا رسول الله، منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتعداه ولا نقصر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله ﷺ: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال الحباب: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، ولكن انهض حتى تجعل القُلُب كلّها من وراء ظهرك، ثم غوّر كُلّ قليب بها إلا قليبا

واحدا، ثم احفر عليه حوضا، فنقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال: قد أشرت بالرأي، ففعل ذلك..)[124].

وكذا مبادرة سلمان الفارسي ﷺ بما عنده من خبرة أجنبية جديدة على مجتمع المسلمين، حين أشار بفكرة حفر الخندق، وما كان لها من أثر مفاجئ على قريش وحلفائها، حتى قالوا: «إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها؛ فقيل لهم: إن معه رجلا فارسيا أشار عليه بذلك»[125].

5 – المبادرة تضحية ومسؤولية:

عن أنس، أن رسول الله ﷺ أخذ سيفا يوم أحد فقال: (من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا، قال: فمن يأخذه بحقه؟ قال فأحجم القوم. فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين)[126]. وتتجلى ثمار التربية النبوية في شخصية سعد بن أبي وقاص ﷺ، وفي مبادرته لحراسة القيادة، فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: (أَرِقَ النبي ﷺ ذات ليلة، فقال: ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة. إذ سمعنا صوت السلاح، قال: من هذا؟ قال سعد: يا رسول الله، جئت أحرسك، فنام النبي ﷺ..)[127].

ومن ذلك مبادرة أبي الدحداح ﷺ، في حل أزمة سكنية، فعن أنس ﷺ، (أن رجلا قال: يا رسول الله: إن لفلان نخلة، وأنا أقيم حائطي بها، فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها، فقال له النبي ﷺ: أعطها إياه بنخلة في الجنة. فأبى، فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي. ففعل، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد ابتعت النخلة بحائطي. قال: فاجعلها له، فقد أعطيتكها. فقال رسول الله ﷺ: كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة. قالها مرارا. قال: فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط، فإني قد بعته بنخلة في الجنة. فقالت: ربح البيع.

أو كلمة تشبهها)[128].

**المطلب الرابع: روح فريق العمل**

**أولا: تعريف روح الفريق.**

المقصود بروح الفريق وجود ألفة وانسجام بين أفراد المجموعة المتعاونة. وفريق العمل هو عدد من الأفراد العاميلن، يمتلكون مهارات متكاملة، ويعملون سوية، لإنجاز مهام محددة لهم[129]. والعمل بروح الفريق الواحد يعني وجود مجموعة من البشر مجتمعين معا، يوجههم هدف عام ويكافحون من أجل أعلى النتائج[130].

والقرآن الكريم يشير إلى أهمية هذه الروح كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف]، قال القرطبي: «قال المبرد: هو من رصصت البناء إذا لاءمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة»[131]. وقال أبو حيان: «وقيل: المراد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص»[132]. وفيه دلالة عامة على العمل في «جماعة منظمة ذات ارتباط، وذات نظام، وذات هدف جماعي منوط في الوقت ذاته بكل فرد فيها»[133]. يمتزج فيه الخلق الفردي بالحاجة الجماعية، ويسود التضامن الوثيق بين الأفراد، أشبه ببنيان «تتعاون لبناته وتتضام وتتماسك، وتؤدي كل لبنة دورها، وتسد ثغرتها، مع ارتباط الشعور، وارتباط الحركة، داخل النظام المرسوم، المتجه إلى هدف مرسوم»[134].

كما يشر إليه حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا. وشبك أصابعه)[135]. قال النووي: «هذا الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم

والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه»[136].

**ثانيا: العمل بروح الفريق دافع ذاتي فطري.**

يندرج العمل بروح الفريق تحت دافع الشعور بالانتماء إلى جماعة، وهو من الدوافع الفطرية التي يؤكدها علماء النفس[137].

**ثالثا: أهمية العمل بروح الفريق.**

وتبدو أهمية العمل بروح الفريق في سد النقائص وتكامل المواهب لدى الأفراد، وحل المشاكل بالاستفادة من ومواهب عدد من الأفراد، وتنمية الشعور بالاتحاد والصداقة والحب أثناء التنفيذ، وزيادة الإنتاج وذلك بالتشجيع وخلق جو من التعاون، وإتاحة الفرصة لزيادة الاتصال بين الأعضاء والمشرفين على تنفيذ المشروع، وتحقيق حل قد يكون غير محبب للبعض ولكنه رغبة الغالبية العظمى[138].

يقول المفكر الغربي ستيفن كوفي في كتابه العادة الثامنة: «إن روح الفريق المتكامل يعني أنك موجود في الفريق لكي تلعب دورا فريدا يعوض عن نقاط ضعف الآخرين، أنت لست هناك لكي تعثر على نقاط ضعف الآخرين وتركز عليها، أو لكي تتكلم عنها خلف ظهورهم، أنت في الفريق لكي تعوِّض عن نقاط ضعف الآخرين مثلما يقومون هم بالتعويض عن نقاط ضعفك، لا أحد يملك نقاط القوة كلها»[139].

كما تبدو أهمية العمل في الفريق في توليد الطاقات الكامنة؛ لأن كل فرد يقدم مساهمة فريدة[140].

**رابعا: نماذج وتطبيقات من العمل بروح الفريق في السنة والسيرة.**

1 – توجيه الطاقات والخبرات: المتأمل في مشهد بناء المسجد النبوي في السنة والسيرة يجد تفعيلا لروح العمل في الفريق، وتوجيها نبويا رائدا حكمة التكامل بين

أفراد المجموعة، يشهد بذلك حديث طلق بن علي اليمامي ﷺ، قال: (جئت إلى النبي ﷺ وأصحابه وهم يبنون المسجد فلما رأيت عملهم أخذت أحذق المسحاة فخلطت بها الطين فكأنه أعجبه أخذي المسحاة وعملي، فقال: دعوا الحنفي والطين فإنه أضبطكم للطين)[141]. وفي رواية أخرى، قال: بنيت المسجد مع رسول الله ﷺ فكان يقول: (قربوا اليمامي إلى الطين فإنه أحسنكم له مسًّا وأشدكم منكبا)[142].

2 – روح الفريق وتفعيل المبادرة الشخصية: عن جابر بن عبد الله، –رضي الله عنهما– قال: (لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصا شديدا، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول ﷺ خمصا شديدا، فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ..)[143].

3 – روح الفريق والقيادة المرنة: روح الفريق تشجع على المبادرات الشخصية، والقائد في فريق العمل يفتح المجال للمشاورة وللمبادرة، ولا يفرض رأيه، ففي مشهد حفر الخندق قال ابن سعد: «فلما بلغ رسول الله ﷺ فصولهم [أي الأحزاب] من مكة ندب الناس، وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم في أمرهم، فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين.. وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم عدوهم عليهم»[144].

إن بناء الفريق هو أمر أساسي، وخصوصا في تطوير الفرق المتكاملة التي تصبح فيها نقاط قوة الناس منتجة، ويتلاشى التأثير السلبي لنقاط ضعفهم بفضل نقاط قوة الآخرين، حيث تكون القوى الموحدة هي نظام القيم والرؤية المشتركين.. إذا فكر القائد بشكل مستقل وتسلطي، واتخذ كثيرا من القرارات الأحادية الاعتباطية فإنه لن يبني فريقا[145].

4 – تشكيل فرق عمل متعددة لدى الحاجة: كما في حفر الخندق: قال ابن سعد:

«وعمل رسول الله ﷺ معهم بيده لينشط المسلمين، ووكل بكل جانب منه قوما فكان المهاجرون يحفرون من ناحية راتج إلى ذباب، وكانت الأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل بني عبيد، وكان سائر المدينة مشبكا بالبنيان فهي كالحصن، وخندقت بنو عبد الأشهل عليها مما يلي راتج إلى خلفها حتى جاء الخندق من وراء المسجد، وخندقت بنو دينار من عند جربا إلى موضع دار ابن أبي الجنوب، وفرغوا من حفره في ستة أيام»[146]. هذا النجاح في الإنجاز السريع كان دافعه روح الانسجام في الفريق وروح التنافس التي تنقدح بين المجموعات.

5 – التناغم المساعد على النجاح: إن كل نجاح دائم يقوم على أساس العلاقات البشرية المتناغمة، وإنذه بالوسع التوصل إلى قوة غير محدودة عندما ينسق شخصان أو أكثر التفكير أو الأعمال في روح تناغم تام لبلوغ هدف محدد[147]. ونلمس هذا التناغم في حديث أنس ﷺ قال: (كانت الأنصار يوم الخندق تقول: نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما حيينا أبدا، فأجابهم النبي ﷺ فقال: (اللّهم لا عيش إلا عيش الآخره. فأكرم الأنصار والمهاجره)[148]. هذه الكلمات الموزونة المغناة، لها دور في التحفيز الروحي، وهو ما يوجه إليه المرشدون في علم النفس والتنمية البشرية[149].

وعن البراء ﷺ، قال: (رأيت النبي ﷺ يوم الخندق وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلا كثير الشعر، وهو يرتجز برجز عبد الله (بن رواحة):

اللّهم لولا أنت ما اهتدينا *** ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا *** وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأعداء قد بغوا علينا *** إذا أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته)[150].

ولنا أن نتصور مدى التناغم والانسجام والتجانس في هذا الجو الذي يعمل فيه المسلمون، والرسول ﷺ بينهم، يعمل ما يعملون، ويرجع معهم الأراجيز، ولنا أن نتصور مدى التفعيل لطاقاتهم الكامنة، ومدى الحماسة والمنافسة والرضى والثقة، التي تسود الموقف. وهل ننتظر العمل في هذه الأجواء إلا النجاح والإبداع!؟

## خاتمة

رأينا في هذه الجولة البحثية المفيدة أن الدوافع الذاتية هي دوافع نفسية داخلية، تتحرك نحو الفعل والسلوك بمحفزات وبواعث خارجية، فتبرز بشكل نشيط يؤدي إلى استخراج الطاقات الكامنة واستحثاثها، من أجل تحقيق الانسجام والإشباع كما يعبر علماء النفس. هذه الدوافع هي عناصر فاعلة في تحقيق التميز والإبداع في ساحة الواقع، وهي متفاوتة بين الناس.

كما رأينا بالشواهد الكثيرة كيف تعامل النبي ﷺ مع النفس الإنسانية، وأيقظ الملكات الخامدة ونشط القدرات الكامنة، واستثمر الدوافع وحركها في الخير وعمارة الدنيا ونصرة الأمة، وحقق النجاح والتميز لجيل الصحابة خير أمة أخرجت للناس ﷺ. وإجمالا يمكن تسجيل هذه النتائج والتوصيات:

**النتائج**:

1 – الدوافع الذاتية هي المحرك للسلوك، والمحرك له نحو الأهداف، ولها أثر عظيم في تحقيق التميز والإبداع والنجاح.

2 – التميز قليل في الناس؛ لكنه فاعل، وهو متعدد المجالات، ومنتشر بين الناس، وهو إذ يتنوع يتكامل.

3 – التميز في شريعتنا وسنتنا وحضارتنا ليس إنجازا ماديا أو معرفيا مطلقا عن الضوابط الشرعية والمقاصد الإلهية؛ بل هو تميز متميز، وأهم ما يميزه أن دافعه

الأكبر هو دافع الإيمان والرغبة في رضوان الله، والدوافع الأخرى كلها لابد أن ترتبط بالدافع الإيماني..

4 – في التميز والإبداع عنصران: موهبة ربانية، وسعي بشري حثيث، أما المواهب فهي من عطاء الله غير المحظور على فرد ولا أمة، وأما السعي فهو بتوفيق الله تعالى أولا، ثم بالهمة العالية والإصرار على النجاح، ذلك الإصرار هو سر الإبداع والتميز، وهو ملكة قابلة للتنمية والتطوير.

5 – في الرجوع إلى القرآن والسنة مبادئ ومنطلقات، لصناعة التميز بأفق حضاري شامل، ففيهما الإحياء والإصلاح لكل ميادين الحياة.

6 – روح التفاؤل تولد الحماس وتبعث العزيمة على مواصلة العمل وإتمامه، والإيمان بالنجاح والرغبة في الإنجاز يولدان التحدي للعقبات والإصرار على تجاوزها.

7 – روح التنافس (التسابق) ميدان لإثبات الذات وتوكيدها، وسيان في هذا الذات الفردية والذات الحضارية للأمة.

8 – روح المبادرة دافع مرتبط بالتنافسية، وينبع من الشعور بالمسؤولية، والغيرة على الحق والخير.

9 – روح فريق العمل دافع نفسي اجتماعي، تتكامل فيه المواهب، ويحقق الجودة العالية.

**التوصيات**:

1– لفت نظرَ الباحث في أثناء البحث أن الدوافع الذاتية للتميز والإبداع كثيرة، ومترابطة ومتداخلة ومتفرع بعضها من بعض، ويضيق عنها نطاق هذا البحث، ولذا يحسن التوسع في بحثها مستقبلا. وما جاء في هذا البحث إن هو إلا ملامح

عامة لمنهج دقيق في تعامل السنة النبوية مع الدوافع الإنسانية، إثارةً وتوجيهًا واستثمارا، هذا المنهج مازال يحتاج إلى مزيد من البحث، وهو أمل الباحث.

2- ويأمل الباحث -أيضا- من الدعاة والخطباء والمربين حسن استثمار الدوافع الذاتية، وبعثها وتفعيلها في الناشئة، أملا في ثمراتها الطيبة إن شاء الله تعالى.

3- وإن حسن توجيه واستثمار طاقات ومواهب المتميزين يحقق تكامل عناصر التميز، في الأمة، ويحقق كفايتها من السبق في كلّ الميادين.

4- ويحسن أن تعطى العناية للتربية الإبداعية في المؤسسات التربوية والتعليمية.

والله ولي التوفيق.

**الحواشي والإحالات:**

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج2، ص288-289، ولسان العرب، لابن منظور، ج7، ص87.

(2) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للفيومي، ج1، ص196.

(3) تفسير النسفي، ج4، ص276.

(4) انظر: علم النفس (معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة)، سميح عاطف الزين، ص119.

(5) انظر: علم النفس، أصوله ومبادئه، د. أحمد محمد عبد الخالق، د. عبد الفتاح محمد دويدار، ص295.

(6) انظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص61.

(7) انظر: علم النفس، أصوله ومبادئه، د. أحمد محمد عبد الخالق، د. عبد الفتاح محمد دويدار، ص296.

(8) انظر: علم النفس، أصوله ومبادئه، د. أحمد محمد عبد الخالق، د. عبد الفتاح محمد دويدار، ص296، وأصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص66.

(9) انظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص67.

(10) انظر: علم النفس، سميح عاطف الزين، ص119.

(11) إدارة الموارد البشرية، مدخل استراتيجي، د. سهيلة محمد عباس، ص166.

(12) انظر: المفاتيح العشرة للنجاح، د. إبراهيم الفقي، ص28.

(13) السابق، ص32-33.

(14) أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص61.

(15) انظر: المفاتيح العشرة للنجاح، د. إبراهيم الفقي، ص40.

(16) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من صف أصحابه عند الهزيمة، رقم: 2772، ج3، ص1071، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم: 1776، ج3، ص1400، واللفظ لمسلم.

(17) المعجم الكبير للطبراني، من اسمه شيبة، رقم: 7191، ج7، ص298، وصححه الشيخ الألباني، في صحيح الجامع الصغير، رقم: 2752، ج1، ص534.

(18) انظر: مقدمة في علم النفس، د. جابر عبد الحميد جابر، د. صفاء الأعسر، د. إبراهيم قشقوش، ص37. وانظر: علم النفس، كامل محمد محمد عويضة، ص59.

(19) انظر: الدافعية للإنجاز، عبد اللطيف محمد خليفة، ص85. والشكل أدناه في المرجع ذاته، ص86.

(20) إحياء علوم الدين، للغزالي، ج4، ص76.

(21) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ج1، ص276.

(22) الطريق إلى الامتياز، د. إبراهيم الفقي، ص7-9.

(23) انظر: دوافع السلوك في الحديث النبوي، د. محمد عثمان نجاتي، دراسة منشورة في موقع: http://www.acofps.com/vb//showthread.php?t=3821 بتاريخ: 2012/08/08م.

(24) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، لابن الجوزي، ص31.

(25) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج5، ص289.

(26) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ج7، ص327.

(27) انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص526.

(28) انظر: تفسير القرطبي، ج4، ص289.

(29) انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص526.

(30) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج2، ص893.

(31) سيكولوجية الفروق الفردية والتفوق العقلي، د. أديب محمد الخالدي، ص105.

(32) التميز في السنة النبوية، دراسة موضوعية، مها سليمان أحمد أبو النمر، ص4.

(33) صيد الخاطر، لابن الجوزي، ص173.

(34) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة، رقم: 2547، ج4، ص1973.

(35) شرح النووي على صحيح مسلم، ج16، ص101.

(36) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم: 1788، ج3، ص1414.

(37) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام، رقم:2378، ج4، ص1846.

(38) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم، ج15، ص135.

(39) سنن الترمذي الجامع الصحيح، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب معاذ بن جبل ﷺ، رقم: 3790، ج5، ص664. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم: 3790، ج3، ص544.

(40) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت ﷺ، رقم: 2490، ج4، ص1935.

(41) صحيح البخاري، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن معاذ ﷺ، رقم: 3593، ج3، ص1384.

(42) حديث عمران بن حصين، قال: قلت يا رسول الله، فيما يعمل العاملون؟ قال: (كل ميسر لما خلق له). صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾، رقم: 7112، ج6، ص2745.

.سياق ورود هذا الحديث هو العمل للآخرة، فعن علي ﷺ قال: (كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض، فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة. قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾، الآية. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فسنيسره للعسرى﴾، رقم: 4666، ج4، ص1891.

بيد أنه لا ضير من توسيع دلالة الحديث ليشمل أمور الدنيا من رزق وغيره، وأمور الآخرة من مغفرة وعذاب أو جنة ونار، ويشهد لهذا التوسع في المعنى: حديث أبي حميد الساعدي، قال: قال رسول الله ﷺ: (أجملوا في طلب الدنيا، فإنّ كلاً مُيَسَّرٌ لما خلق له). سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة، رقم: 2142، ج2، ص725. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: 898، ج2، ص597.

فسعي الناس شتى في أرزاقهم وأعمالهم، واجتهادهم في تحقيق آمالهم، وجدهم في بلوغ مطالبهم، كل ذلك

لا يخرج عن القسمة الإلهية المقدرة، والنتيجة المتوصل إليها هي من صنع الإنسان وكسبه الذي يحصل له بتقدير الله وتدبيره. وقد استدل بهذا الحديث –وفي هذا الصدد بالذات– الإمام ابن الجوزي –رحمه الله– كما في قوله: «ثم اعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين، ثم الفضائل تتفاوت.. وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وليس كل مريد مرادا، ولا كل طالب واجدا، ولكن على العبد الاجتهاد، وكل ميسر لما خلق له، والله المستعان». انظر: لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، لابن الجوزي، ص29.

(43) حديث «نضر الله امرأ سمع منا حديثا..»، أخرجه أبو داود في سننه، عن زيد بن ثابت، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم: 3660، جـ3، ص332، والترمذي عن ابن مسعود، أبواب العلم عن رسول الله، باب ما جاء في الحثِّ على تبليغ السَّماع، رقم: 2656، قال: حديث زيد بن ثابت حديث حسن، جـ5، ص33، ورواه ابن ماجه عن زيد، في المقدمة، باب من بلّغ علما، رقم: 230، جـ1، ص84. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: 404، جـ1، ص689.

(44) الرسالة، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، ص 403.

(45) أخرجه مسلم في صحيحه، عن أبي مسعود عقبة بن ثعلبة ﷺ، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم: 432، جـ1، ص323.

(46) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله، رقم:2657، جـ3، ص1035.

(47) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بني قرد وغيرها، رقم: 1807، جـ3، ص1433.

(48) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب أكل الجبار، رقم: 5129، جـ5، ص2075.

(49) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، جـ1، ص145–146.

(50) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم:3269، جـ3، ص1274، وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم:2669، جـ4، ص2054.

(51) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، جـ1، ص209–210.

(52) انظر: الإبداع، د. عبد الحليم محمود السيد، ص7–8.

(53) انظر: الإبداع العلمي، د. أحمد بن علي القرني، ص17.

(54) انظر: الإبداع العام والخاص، ألكساندرو روشكا، ص16–17.

(55) انظر: الإبداع العلمي، د. أحمد بن علي القرني، ص17.

(56) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله ﷺ، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم: 1017، ج2، ص704.

(57) انظر: الإبداع العام والخاص، ألكساندرو روشكا، ص15.

(58) الإبداع، د. عبد الحليم محمود السيد، ص37.

(59) السابق، ص43.

(60) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب بدء الأذان، رقم: 579، ج1، ص219، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب بدء الأذان، رقم: 377، ج1، ص285.

(61) أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص59.

(62) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، رقم:2664، ج4، ص2052.

(63) قوة الثقة بالنفس، أرنولد كارول، ص5.

(64) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم: 1362، ج2، ص519.

(65) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، رقم: 1641، ج1، ص516، وسنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب بيع المزايدة، رقم: 2198، ج2، ص740، والسنن الكبرى للبيهقي، كتاب قسم الصدقات، باب لا وقت فيما يعطى الفقراء والمساكين إلى ما يخرجون به من الفقر، رقم: 12992، ج7، ص25. قال الألباني: صحيح لغيره. صحيح الترغيب والترهيب، رقم: 834، ج1، ص203.

(66) انظر: المصباح المنير، للفيومي، ج2، ص484.

(67) انظر: مختار الصحاح، 517.

(68) شرح النووي على صحيح مسلم، ج14، ص219.

(69) شرح النووي على صحيح مسلم، ج14، ص218-219.

(70) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، رقم:5423، ج5، ص2171.

(71) علم النفس، سميح عاطف الزين، ج2، ص320-321.

(72) انظر: التعريفات للجرجاني، ص146.

(73) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ج9، ص437.

(74) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل، رقم: 2223، ج4، ص1746.

(75) شرح النووي على صحيح مسلم، ج14، ص219-220.

(76) الدافعية للإنجاز، عبد اللطيف محمد خليفة، ص75-76. وانظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص61.

(77) سيطر على حياتك، د. إبراهيم الفقي، ص46.

(78) انظر: صناعة النجاح، د. طارق السويدان، أ. فيصل عمر باشراحيل، ص73.

(79) المفاتيح العشرة للنجاح، د. إبراهيم الفقي، ص150.

(80) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: 3416، ج3، ص1322.

(81) صحيح البخاري، عن عائشة رضي الله عنها، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، رقم:3059، ج3، ص1180. ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم:1795، ج3، ص1420، رقم:4754.

(82) انظر: الدوافع المحركة للبشر، سوزان كويليام، ص47-48.

(83) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس، رقم: 2623، ج4، ص2024.

(84) انظر: كيف أصبحوا عظماء، سعد سعود الكرياني، ص179.180.

(85) السنن الكبرى للنسائي، عن البراء بن عازب ﷺ، كتاب السير، حفر الخندق، رقم: 8807، ج8، ص133. قال المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط: تفرد به النسائي من بين أصحاب السنن الأربعة، ولم يعلق عليه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «وفيه ميمون أبو عبد الله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات». رقم: 10138، ج6، ص117. وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي، رقم: 3176، ج2، ص397-398. مع اختلاف في الرواية.

(86) انظر: الدوافع المحركة للبشر، سوزان كويليام، ص44، وص46.

(87) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، قم: 1802، ج3، ص1427.

(88) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، رقم: 1365، ج3، ص1425.

(89) شرح النووي على مسلم، ج12، ص164. وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض، ج6، ص180.

(90) صحيح البخاري، عن أبي هريرة، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، رقم:5354، ج5، ص2151.

(91) هموم المسلم المعاصر، للشيخ يوسف القرضاوي، ص139.140.

(92) انظر: الدوافع المحركة للبشر، سوزان كويليام، ص47.

(93) مختار الصحاح، للرازي، ص688، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص578، ولسان العرب،

جـ6، ص233.

(94) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، جـ5، ص461.

(95) انظر: لسان العرب، جـ6، ص233.

(96) انظر: السابق، نفسه.

(97) صحيح البخاري، عن عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ،كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، رقم: 2988، جـ3، ص1152.

(98) صحيح البخاري، عن أبي هريرة ﷺكتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، رقم: 4738، جـ4، ص1919.

(99) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جـ2، ص940.

(100) انظر: الحديث النبوي وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، ص35.

(101) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، جـ6، ص3860.

(102) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت ﷺ، رقم: 2490، جـ4، ص1935.

(103) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم: 2405، جـ4، ص1871.

(104) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، رقم: 4119، جـ4، ص1592.

(105) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السبق، رقم: 2576، جـ2، ص24. وصححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، رقم: 2133، جـ5، ص166.

(106) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب غاية السبق للخيل المضمرة، رقم: 2415،جـ3، ص1053، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب المسابقة بين الخيل وتضميرها، رقم: 1870، جـ3، ص1491، واللفظ لمسلم.

(107) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، رقم: 2743، جـ3، ص1062.

(108) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب باب في الشرب ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، جـ2، ص827.

(109) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، رقم: 1678، جـ1، ص526، وسنن الترمذي الجامع الصحيح، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله

= عنهما، رقم: 3675، جـ5، ص614، فال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، رقم: 6021، جـ3، ص313.

(110) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ناقة النبي ﷺ، رقم: 2717، جـ3، ص1053.

(111) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، جـ1، ص208.

(112) انظر: لسان العرب، لابن منظور، جـ4، ص48. مادة (بدر).

(113) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم:118، جـ1، ص110.

(114) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، جـ2، ض133.

(115) انظر: العادات السبع للناس الأكثر فعالية، ستيفن كوفي، ص87-88.

(116) السابق، ص93.

(117) انظر: معجم علم النفس والتربية، لجنة علم النفس والتربية بمجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، جـ1، ص5.

(118) الدافعية للإنجاز، عبد اللطيف محمد خليفة، ص16.

(119) انظر: تفسير القرطبي، جـ12، ص133.

(120) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، رقم:1017، جـ4، ص2058.

(121) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم:118، جـ1، ص110.

(122) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الرقاق، رقم: 7846، جـ4، ص341. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التعليق عليه: على شرط البخاري ومسلم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم: 1077، جـ1، ص243-244.

(123) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، رقم: 2691، جـ3، ص1046.

(124) دلائل النبوة للبيهقي، جماع أبواب غزوة بدر العظمى، جـ3، ص35.

(125) الطبقات الكبرى، لابن سعد، جـ2، ص68.

(126) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه، رقم: 2470، جـ4، ص1917.

(127) صحيح البخاري، كتاب التمني، باب قوله ﷺ: (ليت كذا وكذا)، رقم: 6804، جـ6، ص2642، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل سعد بن أبي وقاص ﷺ، رقم: 2410،

جـ4، ص1875.

(128) مسند أحمد بن حنبل، ومن مسند بني هاشم، مسند أنس بن مالك ﷺ، رقم: 12504، جـ3، ص146، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب البيوع، رقم: 2194، جـ2، ص24، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري.

(129) انظر: إدارة الموارد البشرية، مدخل استراتيجي، د. سهيلة محمد عباس، ص354.

(130) انظر: صناعة النجاح، د. طارق السويدان، أ. فيصل عمر شراحيل، ص144.

(131) تفسير القرطبي، جـ18، ص81.

(132) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ج8، ص259.

(133) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6، ص3552.

(134) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6، ص3555. بتصرف، اختصارا.

(135) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، رقم: 5680، جـ5، ص2242، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: 2585، جـ4، 1999.

(136) شرح النووي على صحيح مسلم، جـ16، ص139.

(137) أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، ص81.

(138) انظر: صناعة النجاح، د. طارق السويدان، أ. فيصل عمر شراحيل، ص144-145.

(139) العادة الثامنة، ستيفن كوفي، ص183، وانظر: صناعة النجاح، د. طارق السويدان، أ. فيصل عمر شراحيل، ص145.

(140) انظر: صناعة النجاح، د. طارق السويدان، أ. فيصل عمر شراحيل، ص144.

(141) مسند الإمام أحمد، رقم: 24248، جـ5، ص460.

(142) مسند الإمام أحمد، رقم: 22444، جـ5، ص460، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله موثقون. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، جـ5، ص12.

(143) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم: 3876، جـ4، ص1505.

(144) الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ2، ص66.

(145) انظر: العادة الثامنة، ستيفن كوفي، ص339.

(146) الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ2، ص66.

(147) انظر: طاقتك الكامنة، سمير شيخاني، ص277. بتصرف.

(148) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا وقال بعضهم على الموت رقم: 2801، جـ3، ص1081، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، رقم: 1805، جـ3، ص1431.

(149) انظر: قوة الذكاء الروحي، د. إبراهيم الفقي، ص16.

(150) صحيح البخاري،كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق، رقم: 2870، جـ3، ص1103.